فوائد مستنبطة من قصة لقمان الحكيم

إعداد

عبد الرَّزَّاق بن عبد المحسن البَدر

بسم الله الرحمن الرحيم.

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مضِلَّ له ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فإنّ الوصايا الواردة في قصّة لُقمان تضمَّنت فوائدَ عظيمةً، وتوجيهاتٍ كريمةً، ولفتاتٍ مباركةً، ونَهجًا سديدًا في الدَّعوة إلى الله وتربيةِ الأبناء وتنشئةِ الأجيال، وفيها بيانٌ للوسائل النَّاجحة، والأساليب النَّاجعة في الدَّعوة إلى الله تبارك وتعالى وتعليم النَّاس الخيرَ، ولهذا كان من المتأكِّد على المربِّين والآباء والمعلِّمين أن يُعنوا

بهذه الوصايا، وأن يقِفُوا عندها وقفاتٍ ووقفاتٍ ليأخذوا منها النَّهجَ السَّديدَ والطَّريق الرَّشيد في الدَّعوة والتعليم، إضافةً إلى ما في هذه الوصايا من الأسلوب الحكيم لجَلب القلوب وشدِّ الأذهان، والتَّرغيب والتَّرهيب، وحُسن الموعظة، وحُسن الدُّخول على النَّاس في بيان الخير لهم، ودعوتهم إلى دين الله تبارك وتعالى؛ فالدَّعوة كما أنَّها علمٌ يُدعى إليه وعملٌ يُرشَد إليه فإنَّها في الوقت نفسِه تحتاج إلى حكمةٍ ووسائلَ نافعةٍ وأساليبَ مؤثِّرةٍ حتَّى تدخل قلوب النَّاس، والله جلَّ وعلا آتى عبدَه لُقمان[1] الحكمةَ وقذفها في قلبه، وجعل

(١) وهو عبد صالح وليس بنبي، وليس في القرآن الكريم ولا في سنة النبي ﷺ ما يدل على أنه نبي، وحكى الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره الاتفاق على ذلك، فقال: «اتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا

كلامَه ووعظَه وتعليمَه وإرشادَه حكمةً.

وهذا كلُّه يقتَضي منَّا حُسن تدبُّرٍ وتعقُّلٍ ومُدارسةٍ لهذه الوصايا الَّتي نوّه الله تبارك وتعالى بها في كتابه القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ

عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبيّاً وتفرّد بهذا القول» (معالم التنزيل ٣/ ٤٩٠).

مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة لقمان].

والحديث عن هذا السّياق المبارك سيكون بسرد جملة من الفَوائد المستنبطة من هذه الآيات الكريمات، وقد أحصيتُ ـ على عجلٍ ـ ما يزيدُ على الخمسين فائدة، أرجو الله أن ينفعنا بها، وأن يوفِّقَنا لحُسن الاستفادة من هذه الوصَايا الحكيمة المباركة.

الفائدة الأولى: إنَّ الحكمة مِنحَةٌ ربَّانيَّة، وهِبةٌ إلهيَّةٌ يُؤتيها الله جلَّ وعلا من شاء من عباده، وهذا مستفادٌ من قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، فالحكمة منَّةُ الله جلَّ وعلا يمُنُّ بها على

من شاء من عباده؛ كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ومن أرادَ أن يُوفَّق لهذا الأمر، ولكلِّ خيرٍ فليطلب ذلك من الله، فإنَّ الخيرَ والفضلَ بيدِ الله عزَّ وجلَّ، يُؤتيه مَن يشاءُ، والله ذو الفَضل العظيمِ.

ولا يُنال الخيرُ إلَّا بالصِّدق مع الله، وحُسنِ الإقبالِ عليه، والقيامِ بطاعتِه وطلبِ التوفيق منه، والالتجاءِ في تحصيلِه إليه، فإنَّ الهدايةَ والتَّوفيقَ بيده لا شريك له.

ـ **الفائدة الثَّانية**: إنَّ نَيْل الحكمةِ لابدَّ له مِن أسبَاب يتَّخذها العبدُ، ومَن يتأمَّل قصَّةَ لُقمان الحكيم وينظُر أيضاً في حياتِه يجد أنَّه عبدٌ صالحٌ عابدٌ لله جلَّ وعلا مُقبلٌ على طاعة الله، أحسنَ صِلتَه بربِّه؛ وقد ورد في ترجمتِه ـ كما ذَكرالحافظ ابنُ كثير وغيرُه من أهل

العلم[1] ـ: أنَّه كانَ ذا عبادةٍ وإقبالٍ على الله جلَّ وعلا وصدقٍ، وكان قليلَ الكلام كثيرَ الفِكرة والتَّدبُّر، وكانَ يستفِيدُ من مجالس الخَير، ويحثُّ على الاستفادة منها، ومُشاورة أهل العلم والاستفادة منهم؛ والشَّاهد أنَّ بذلَ العبدِ للأسباب النَّافعة المقرِّبة مِن الله تبارك وتعالى يَنال به الخيرَ والفلاحَ، وينالُ به الحكمةَ؛ ولهذا قال ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِالله**»[2]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَه**»[3].

---

(١) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (٢/ ١٤٦ـ١٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩/ ١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسَّن إسناده الألباني في «الصَّحيحة» (٣٤٢).

فلابدَّ من بذل السَّبب الذي تنال به الحكمة، ولا يكفي أن يقول العبدُ: اللَّهم آتني الحكمةَ أو اللَّهم إنِّي أسألكَ العلمَ النَّافع والعملَ الصَّالحَ دون بذلٍ منه للأسباب؛ والله جلَّ وعلا يقول: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

ـ **الفائدة الثَّالثة:** أهمِّية شُكر نِعم الله وعظيم أثَره في بقاء النِّعمة ودوامِها ونمائِها وزيادتِها ، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾، والنِّعمة إذا شُكِرت قرَّتْ، وإذا كُفِرت فرَّتْ؛ ولهذا يسمِّي بعضُ العلماء الشُّكرَ: «الحافظَ»، و«الجالِبَ»؛ لأنَّه يحفَظ النِّعمَ الموجودة، ويجلِبُ النِّعم المفقودةَ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وهنا قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أي على نعمتِه عليكَ ومَنِّه وإكرامِه؛ ومِن

إكرامِه سبحانه وتعالى لهذا العبد الصَّالح أن آتاه الله الحكمةَ ووفَّقه للعِلم النَّافع والعمل الصَّالح، وفي هذا دلالة أنَّ العبدَ إذا وُفِّق للعلم والعمل والخَير فعليه أن يكون دائمًا وأبدا شاكرًا لله سبحانه وتعالى معترفًا بنعمة الله عليه وفضلِه وهدايتِه وتوفيقِه.

ـ **الفائدة الرَّابعة**: إنَّ شُكر النِّعمة يكون بالقلب واللِّسان والجوارح، يجمع هذه الثلاث قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾. ومن أوتي الحكمة والعلم النَّافع والعمل الصَّالح فشكرُ ذلك يكونُ بقلبه اعترافًا بنعمة المنعِم سبحانه وتعالى، ويكون باللِّسان ثناء على الله وحمداً وشُكراً، ويكون بالجوارح استعمالاً للنعمة في طاعة الله جلَّ وعلا، كما قال الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، فيَعملُ العبدُ الصَّالحات ويحرصُ على الطَّاعات، وعلى صَرف هذه النِّعمة في سبيلِها وطريقِها الَّذي أمَرَه الله تبارك وتعالى به.

ـ **الفائدة الخامسة**: إنَّ الله جلَّ وعلا لا ينفعُه شُكر الشَّاكرين ولا يضرُّه كُفر الكافرين كما قال سبحانه: ﴿**أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ** ﴿١٢﴾﴾، فالله جلَّ وعلا لا ينفعه شُكر مَن شَكَر ولا يضُرُّه كُفر مَنْ كَفَر، ولا تَنفَعُه طاعةُ مَن أطاع، ولا تضرُّه معصيةُ مَن عصى؛ وتأمَّل هذا في قول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي مِن حديث أبي ذرٍّ ﵁ في «صحيح مسلم»[1]: «**يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**».

فهو سبحانه وتعالى لا تنفعُه طاعة مَن أطاع، ولا تضرُّه

---

(١) برقم (٢٥٧٧).

معصيةُ من عصَى؛ بل ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: ١٥]، أمَّا الله جلَّ وعلا فهو غنيٌّ حميدٌ ومِن هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [فاطر: ١٥ـ١٦].

ـ **الفائدة السَّادسة:** إنَّ شُكر العبد لنعمة الله عائدٌ أثرُه ونفعُه على العبد نفسِه، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾، فالعبدُ إذا شَكر كان شكرُه عائدًا عليه في الدُّنيا والآخرة؛ ففي الدُّنيا ثباتًا للنِّعمة ودوامًا لها، وجَلبًا للنِّعم الأُخرى ـ كما تقدَّم ـ وفي الآخرة أجراً ومثوبة وحسن عاقبة، فالعبد إذا شكر عاد شكرُه عليه وانتفَع هو به، ومِن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: ١٥]، وإن كان العبدُ ـ والعياذ بالله ـ

كافرًا عاد كُفرُه وبالًا عليه وحسرةً وندامةً في الدُّنيا والآخرة، وهذا مقامٌ ينبَغي على العبد أن يعيَه أنَّه هو المحتاجُ إلى شُكر الله، وأمَّا الله جلَّ وعلا فإنَّه غنيٌّ عن شكره.

ـ **الفائدة السَّابعة**: الإيمانُ بكمال غِنى الله المطلَق من كلِّ وجه وافتِقار العباد إليه من كلِّ وجه ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، نؤمنُ بأنَّ الله غنيٌّ، والغنيُّ اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ومتضمِّنٌ لوصفِه سبحانه وتعالى بالغِنى، وهو جلَّ وعلا غنيٌّ عن عبادِه وجميع مخلوقاتِه من كلِّ وجهٍ، وعبادُه وجميع مخلوقاتِه فقراء إليه من كلِّ وجهٍ؛ ونحن نؤمن بأنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى الغنيَّ مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقِه، كما أخبر هو بذلك في كتابه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ونؤمنُ في الوقتِ نفسِه أنَّه سبحانه وتعالى غنيٌّ عنِ العرشِ وعمَّا دونه، وأنَّ

المخلوقات كلَّها العرشَ وما دونَه فقيرةٌ إلى الله، قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: ٤١]، فهو المُمسك للعَرش، والمُمسك للسَّموات، والمُمسك للأرض، والمخلوقات كلُّها قائمةٌ بإقامة الله تبارك وتعالى لها لا غِنى لها عن الله طَرفة عَين.

ـ **الفائدة الثَّامنة**: إثبات كمال حَمده سبحانه وأنَّ له المَحامِد كلَّها على كريمِ نَعمائه وعظيمِ أسمائِه وصفاتِه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢﴾، و«الحميدُ» اسمٌ من أسماء الله الحُسنى، ودالٌّ على ثبوت الحَمد لله سبحانه وتعالى، وأنَّ له الحمد المُطلق الكامِل على كلِّ حال وفي كلِّ حين، فهو سُبحانه يُحمَد على أسمائه وصفاتِه، ويُحمَد سبحانه على نِعمِه وآلائه وأفضالِه وعطائِه؛ فهو «الحميدُ» جلَّ وعلا الَّذي له الحَمد كلُّه، قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي

﴿ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [القصص: ٧٠]، له الحمد أوَّلًا وآخرًا، وله الشُّكر تبارك وتعالى ظاهرًا وباطنًا، فالحمدُ كلُّه لله والنِّعمة كلُّها منَ الله، وما بالعباد مِن نعمَة فهيَ منَ الله هو مُوليها، ينبَغي أن يكونَ الحمد كلُّه مخصوصًا بالمنعِم وحده؛ ولهذا يقول الملبُّون في تلبيَتِهم: «إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك والملك، لا شريكَ لك».

الفائدة التَّاسعة: مكانةُ الحكمة وعظيمُ نفعِها لمن حباه الله تبارك وتعالى بها، ومَنَّ عليه بتحصيلِها، وهذا واضحٌ في هذا السِّياق المبارك مِن ثناء الله على لُقمان، ومدحه بأنَّ الله عزَّ وجلَّ آتاه الحكمةَ، وهذا يجعلُ العبدَ حريصًا على معرفة الحكمة ما هي وحريصاً على الاتصاف بها، وممَّا قيل في معنى الحكمة:

أنَّها العِلم النَّافع المقرونُ بالعمل الصَّالح.

وقيل: هي وضعُ الأمور في موضعِها.

وقيل: هي البَصيرة والفَهم والسَّداد وحُسن الرَّأي.

وقيل غير ذلك.

الشَّاهد أنَّ الحكمةَ لها مكانةٌ عظيمةٌ، وينبغي على كلِّ عبدٍ أن يجدَّ ويجتهدَ في نَيلها وتحصيلِها ببذلِ الوسائلِ المشروعةِ والسُّبل الَّتي تُنال بها، ويوصَل مِن خلالِها إليها.

ـ **الفائدة العاشرة**: أهميَّة أسلوب الوعظ في التَّربية والتَّعليم، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ** ﴾.

وأسلوب الوعظ له أثرٌ بالغٌ في تربية النَّاس وتعليم النَّشء؛ و«الوعظُ» كما قال العلماءُ: أن يكون العلم الَّذي يوجَّهُ النَّاس إليه ويُرشَدون إلى فعلِه مقرونًا بالتَّرغيب والتَّرهيب، فيذكُر الأمرَ بالخير مع المرغِّبات، ويذكُر النَّهي عن الشَّرِّ مع المرهِّبات؛ فالوعظُ هو أمرٌ بالخير ونهيٌ عن الشَّرِّ مع التَّرغيب والتَّرهيب؛ والتَّرغيبُ يكون

بذكر الفَوائد والثِّمار والآثارِ الَّتي ينالُها العبدُ إذا فعَلَ هذا الأمر الَّذي رُغِّب فيه، والترهيب يكونُ بذكر الأخطار والأضرار الَّتي تحصلُ لمنْ وقَعَ فيما نُهي عنه.

وهكذا فعل لقمان الحكيم حيث ضمَّن وصاياه ترغيباً نافعاً يشجِّعُ المدعوَّ على القيام بما دُعِي إليه على أحسن وجهٍ، وأكملِ حالٍ، وترهيباً زاجراً يحجز المدعوَّ عن مقارفة الذنب وارتكاب الخطيئة.

ـ **الفائدة الحادية عشر**: أهميَّة حُسن التَّودُّد وعظيم أثره على المتلقِّي والمتعلِّم؛ فعندما تُريد أن تَعِظ إنسانًا وتنصحَه ينبَغي أن تتودَّدَ إليه، بأن تذكُر مِن العبارات اللَّطيفة والكلام الجميل الَّذي يجعَل كلامَك يدخُلُ قلبَه، ويجعَلُ قلبَه ينفتِحُ لكلامِك، ولاحظ أنَّ لقمان وهو يعظ ابنَه جاء بكلام جميل وأسلوبٍ مؤثِّرٍ، وكلماتِ

تدخُل إلى القَلب، وانظُر لطفَه في حديثِه مع ابنِه بوعظٍ، فتجد عبارة «يا بني!» تتكرَّر في السِّياق؛ لأنَّ لهذه الكلمةِ وقعاً كبيراً في قلب الابن، ولها تأثيرٌ في نفسِه، وعوناً له على حسن الإصغاء وتمام الاستفادة ومع أعظم أثر الكلام إن كان مصحوباً بحسن تودّد، وأمَّا إذا كان الوعظ بعيدًا عن التَّودُّد مثل: لو يقول قائل ـ وهو ينصح أو ينهى ـ: يا وَلد! أو كما يُذكر عن بعضهم عندما يخاطب ابنَه أو ينهاه عن فعل شيء يناديه بأسماءَ بعضِ الحيوانات؛ فكيف ينفتح قلب المنصوح بمثل هذا الأسلوب الذي يسهم ولا ريب في انغلاق وتبلّد الذهن.

فشتَّان بين هذه الطَّريقة وبين أن يستَخدم الواعظُ أسلوبَ التَّودُّد، كقَول لُقمان لابنِه: «يَا بُنَيَّ!» بحنانٍ وأبوَّةٍ وعطفٍ ورأفةٍ، فينفَتِح القلبُ، ولاحظ أيضًا حُسن التَّودُّد في حديث مُعاذ بن جبل

ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ! إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله وَأَنَا أُحِبُّكَ؛ قَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ! لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١)، فبدأ بالتَّودُّد والتَّلطُّف حتَّى يُقبل على الفائدة، وتَنفتح أساريرُ القَلب، ويتهيَّأ للتَّحصيل؛ فهذه لابدَّ منها في الدَّعوة إلى الله سبحانه وتعالى وتعليم النَّاس الخير.

ـ **الفائدة الثَّانية عشر**: مراعاة الأولويَّات في الدَّعوة إلى الله

وهذا ينبغي أن يتنبَّه له الآباءُ والمربُّون والدُّعاة إلى الله جلَّ وعلا عندما يدعون النَّاسَ إلى الخير، يُبدأُ بالأهمِّ فالمُهمِّ فالأقلُّ أهمِّيَّةً؛

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنَّسائي في «الكبرى» (٩٩٣٧)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٦٩).

حتَّى في تربية الأبناء وتنشِئة الأجيال، نبدأ أوَّلًا بغَرس الاعتقاد الصَّحيح والإيمان النَّافع ثمَّ بعدَ ذلك يُعلَّمُون العبادات والآداب والأخلاق، ولهذا لَّما بعثَ النَّبيُّ ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليَمن، قال له: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى**»[1].

وهذا ما فعَله لقمان الحَكيم لَّما أراد أن يُوصي ابنَه بجُملةٍ من الوصايا النّافعةِ يحتاج أن يوصَى بها ويُدعى إليها؛ بدأها بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ مراعاةً للأولويَّاتِ.

ـ **الفائدة الثَّالثة عشر**: إنَّ الشِّرك أعظمُ الذُّنوب وأخطرُها وهو أعظم ما نَهى الله تبارك وتعالى عنه، وهذا مستفادٌ من بدْء لقمان

---

(١) أخرجه البخاري(١٣٨٩، ٦٩٣٧)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنه .

الحكيم به محذِّراً من أخطَر الأمور، وهذا هُو سَبيل النَّاصحين عندما ينهى عن أمُور خطيرةٍ يُبدَأُ بأشدِّها خطرًا، ولهذا بدأ لقمان الحكيم بنهي ابنِه عن الشِّرك، ويلاحظ في هذا السِّياق المُبارك أنه نهاه عن أمور عديدة: نهاه عن الكِبر، وعن الغُرور، وعن الخُيلاء؛ لكن أوَّل ما بدأ بنهيه عنه الشِّرك بالله؛ فدلَّ ذلك على أنَّ الشِّرك أخطرُ الأمور، وأشدُّها ضررًا.

ـ **الفائدة الرَّابعة عشر**: أهميَّة تنشئة الأبناء من الصِّغر على التَّوحيد والإخلاص، والبُعد عن الشِّرك، وهذا أيضًا مُستفادٌ من هذه الوصيَّة ﴿ **يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ** ﴾، فيَحتاج الأبناءُ من الصِّغر أن يُحذَّروا منَ الشِّرك، وأن يُدعَوْا إلى التَّوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى، وإذا لُقِّن الابنُ التَّوحيد مِن بداية نشأته ينفعُه ذلك ـ بإذن الله تعالى ـ نفعاً عظيماً.

ولهذا كانَ منَ الحِكمة في تسميةِ الأبناء بعَبد الله وعَبد الرَّحمن كما جاء في الحديث: «**خَيرُ الأَسْمَاءِ عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَن**»[1] أن ينشَأ الابنُ على التَّوحيد، وينشأ وهو يعرف أنَّه عبدٌ لله وليس عبدًا للهوى، ولا عبدًا للدُّنيا، ولا عبدًا للشَّيطان، ولا عبدًا لحظوظ النَّفس، وإنَّما عبدٌ لله تبارك وتعالى فيَنشَأ النَّاشئة على أصول الإيمان وأُسُس العقيدة، وهُو الأساس الَّذي يُقام عليه بناء الدِّين، ويُؤسَّس عليه الملَّة، وتقوم عليه الدِّيانة؛ فلا تقوم الدِّيانة ولا تستقيم الملَّة إلَّا على التَّوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى.

ـ **الفائدة الخامسة عشر**: إنَّ الشِّرك أظلمُ الظُّلم وأعظم الجُرم وهذا مأخوذٌ من قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٠٦)، والحاكم (٤/٢٧٦)، وصحَّحه ووافقه الذَّهبي؛ انظر: «الصَّحيحة» (٩٠٤).

﴿١٣﴾، والظُّلم: وضْعُ الشِّيء في غَير موضعِه، وأيُّ ظلم أشنع من أن تُوضَع العبادةُ في غير موضعِها، بأن تُصرف لمخلوقٍ ناقصٍ عاجزٍ لا يملكُ لنفسِه نفعًا ولا ضرًّا، ولا حياةً ولا نشورًا، وأيُّ ذنبٍ أعظم من هذا، يَخْلُقَ اللهُ الإنسانَ ثمَّ يتَّجه بالعبادة لغَيره، ويرزقُه الله ويتَّجه في طلبه للرزق إلى غيره، ويشفيه الله ويتَّجه في طلب الشفاء إلى غيره، فأيُّ ظلمٍ أعظم من هذا!.

ـ **الفائدة السَّادسة عشر**: حاجةُ المتعلِّم والمدعو إلى معرفة ثَمرةِ الأوامِر وخُطورةِ النَّواهي، ليتمكَّن منَ الامتثال، فإذا ذُكر له الأمرُ احتاج أن يُذكر له الفائدةُ والثَّمرةُ، وإذا ذُكر له النَّهي احتاج أن يذكر له العاقبة الوخيمة الَّتي ينالها مَن دخل في هذا الطَّريق، وهذا مستفادٌ من القصَّة في عدَّة مواضع.

ـ **الفائدة السَّابعة عشر**: الوصيَّة بالوالدين برًّا وإحسانًا

وإكرامًا ورعايةً للحُقوق، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾، فالوصيَّة بالوالدين لها شأنٌ عظيمٌ، والوصيَّة تكون بالأمور العظيمة، والوصيَّة هنا من ربّ العالمين جلَّ وعلا؛ ولهذا قال غير واحدٍ من المفسِّرين: إنَّ قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ جاء معترضًا في أثناء ذكر الله وصيَّة لقمان، وصية منه جلَّ وعلا بالوالدين إحسانًا.

فإذًا مِن الفوائد العظيمة من هذا السِّياق المبارك الوصيَّة بالوالدين ومعرفة حقِّهما والإحسان إليهما والبرِّ بهما والقيام بحقوقِهما.

ـ **الفائدة الثَّامنة عشر**: إنَّ مِن أعظَم الأمور المُعينة على البِرِّ بالوالدين تذكُّر الجميل السَّابق، والإحسانِ المُتلاحِق فهذا يُعينُ

الإنسانَ على البرِّ، ويجعله يبتعدُ عن العُقوق والقَطيعة، وتأمَّل هذا في قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾، أي تذكَّر أيُّها الابنُ! ما حصَل من أُمِّك من أمومةٍ وحملٍ ورضَاعةٍ وتَربيةٍ، فتذكَّر الحملَ وأوجاعَه وأتعابَه، والمدَّةَ الطَّويلةَ الَّتي قضيتَها في رحم أُمِّك ثِقلٌ تحملُه في بطنِها تسعةَ أشهرٍ ومعاناةُ عند القيام والقُعود وعند النَّوم، ثمَّ الوضع وشدَّته وما تُعانيه الأمُّ عند الولادة حتَّى خرجتَ إلى هذه الحياة، ثمَّ الرَّضاعة وما يكتنِفها من أتعاب وأوجاعٍ وسهرٍ وتعبٍ؛ كلُّ هذا جميلٌ ينبغي أن لا ينسى وأن لا يغيب عن الذهن.

الفائدة التَّاسعة عشر: أنَّ من الأمور المعينة أيضاً على البر تذكر المصير والرجوع إلى الله، فيتذكَّر البارُّ بوالديه أنه سيرجع إلى الله ويلاقي ثواب إحسانه وبرّه فيزداد برّاً وإحساناً، ويتذكّر العاق

أنه سيرجع إلى الله ويلاقي عقوبة عقوقه فيرتدع عن لؤْمه وعقوقه.

الفائدة العشرون: عظيم حقِّ الأمِّ وأنَّها أَولى النَّاس بالبرِّ وحُسن المصاحبَة، وفي الحديث أنّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ الله! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **أُمُّكَ**؛ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أُمُّكَ**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أُمُّكَ**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أَبُوكَ**»[1]، فذكر الأمَّ ثلاث مرَّاتٍ؛ لأنَّها هي الأحقُّ والأَولى بحُسن المُصاحبة، ولأنَّ الإحسان الذي ناله الابن من جهة الأمّ لم يقع له مثله ولا قريباً منه من غيرها؛ ولهذا قال بعض العلماء: إنَّ في هذه الآية دليلاً وشاهدًا لقول النَّبيِّ ﷺ: «**أمُّك، ثمَّ أمُّك، ثمَّ أمُّك**» ووجه ذلك: أنَّ الله جلَّ وعلا ذكر في هذا السِّياق للأمِّ ثلاث

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مراتب في إحسانها للابنِ:

أوَّلًا: الأمومة ﴿أُمُّهُۥ﴾.

ثانيًا: الحمل﴿حَمَلَتْهُ﴾.

ثالثًا: الرَّضاعة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾.

فهذه ثلاث مراتب من الأمِّ لم تحصُل، لا منَ الأب، ولا مِن كافَّة من أحسن إلى هذا الابن، وهذا يقتضي ردَّ الجميل والإحسان ومقابلة الإحسان بالإحسان وأن تكون أولى الناس بحسن المصاحبة، لكن من المصائب العظيمة أن تجد بعض النَّاس يلقى من أمِّه هذا الإحسان الدَّائم والجميل المُتواصل، ثمَّ تكون النِّهاية أنَّ برَّه ولُطفه وحُسنَ صُحبته يُقدِّمها إلى الآخرين الَّذين لم يقدِّمُوا له عُشر مِعشار ما قدَّمته الأمُّ، ولا يعطي أمَّه من حسن مصحابته شيئًا وإن أعطاها أعطاها الفَضلةَ والقليل؛ أهكذا يكون ردُّ الجميل

والإحسان ومجازاة المُحسنين! ولهذا كان من أعظم الإثم وأشدِّ اللُّؤم العقوق بالأمِّ، كيف يعقُّ الإنسانُ أمَّه وهي خيرُ من قدَّم له معروفاً وإحساناً وإكراماً.

الفائدة الحادية والعشرون: إنَّ ما تلقاه الأمُّ في الحملِ والوضعِ من مشقَّةٍ وتعبٍ أمرٌ لا يلحق الابن جزاءَه مهما بَذل من البرِّ والجُهد.

الفائدة الثَّانية والعشرون: إنَّ قرن حقِّ الوالدين بحقِّ الله دليلٌ على عظيم مكانة حقِّهما وأنّه أوجب الحقوق بعد حقِّ الله وهذا كثير في القرآن يقرن سبحانه بين حقِّه عزّ وجلّ وبين حقِّ الوالدين.

الفائدة الثالثة والعشرون: إنَّ الشُّكر للوالدين يكون بالحبِّ لهما والدُّعاء والبرِّ والصِّلة والإحسان.

ـ **الفائدة الرَّابعة والعشرون:** خطورة عقوق الوالدين، وأنَّه

من أعظم الإثم وأشدِّ اللُّؤم.

وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ الإِشْرَاكُ بِاللهِّ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ»[1].

الفائدة الخامسة والعشرون: طريقة التَّعامل مع الأب أو الأمِّ إن كانا مُشركين أو فاسقين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾، فلا يُطاع الأب، ولا تُطاع الأمُّ إن طلبا من ولدهما أن يشرك بالله أو أن يفعل المعصية؛ لكن في الوقت نفسِه لابدَّ من المصاحبة بالمعروف.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٢٦٥٤)، وصحيح مسلم (٨٧).

ـ **الفائدة السَّادسة والعشرون**: كمال الشَّريعة في دعوتها إلى حفظ المعروف ومراعاة الجميل، وهذا واضحٌ مع كون الأب المشرك أو الأمُّ المشركة يدعو ابنه إلى الشِّرك فإنّ الله: ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾، هذا إذا كان الأبوان مشركين؛ فكيف إذا كان الأبوان مؤمنين لا يأمران إلَّا بالخير ولا يدعوان إلَّا إلى البرِّ والإحسان.

الفائدة السَّابعة والعشرون: لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، قال تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾.

ـ **الفائدة الثَّامنة والعشرون**: إنَّ أهل الضَّلال والباطل قد تكون منهم مجاهدةٌ وبذلُ وسعٍ واستفراغٌ للطَّاقة في نشرِ باطلهم والدَّعوة إلى ضلالهم، وهذا واضحٌ في قوله: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ** ﴾ وفي

المقابل قد يكون من بعض أهل الحقّ كسل وفتور في هذا الباب.

ـ **الفائدة التَّاسعة والعشرون:** التَّفريق بين عدم الطَّاعة والعُقوق، فبعض النَّاس يَخلِط فيجعلهما سواء، والصَّواب أنَّ بينهما فرقًا، قال الله تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعْهُمَا**﴾، ولم يَقُل: فعقَّهما.

ـ **الفائدة الثَّلاثون:** فضل الصَّحابة وخيار الأمَّة، يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾، وإذا نظرتَ في حال الصَّحابة وخيار الأمَّة تجد أنَّ حالهم هي حال المُنيبين إلى الله جلَّ وعلا، ولهذا تجد بعض المفسِّرين يقول: ﴿**وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ أي أبا بكر؛ وبعضُهم يقول: ﴿**وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ أي الصَّحابة؛ وهذا كلُّه تفسيرٌ للنَّص ببعض أفرادِه أو بأفضلِ أفرادِه؛ فهذا يدلُّنا على فضل الصَّحابة وفضل خيار الأمَّة، وأنَّه ينبَغي علينا أن نعرفَ سبيلَ هؤلاء الأخيار الأماثل، وأن نتَّبع سبيلَهُم، وأن

نحذر اتِّباع غير سبيل المؤمنين: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

ـ **الفائدة الحادية والثَّلاثون:** أهميَّة اختيار الجَليس، فليس للمؤمن أن يجلسَ مع مَن شاء، وكم قد يحصُل من ضَرَر للإنسان بسَبَب الجليس، فالعبد مُطالبٌ بأن لا يجلسَ مع كلِّ أحدٍ، وإنَّما يُجالس أهلَ الخَير والفضل والنّبل، وهذا أيضًا مُستفادٌ من قوله: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾.

ـ **الفائدة الثَّانية والثَّلاثون:** فضلُ الإنابة إلى الله، ومكانة المُنيبين، وهذا ظاهرٌ من قوله: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾، فجَعل الله سبيلَ المُنيبين سبيلًا تُتَّبع وطريقةً تُسلَك.

والإنابة إلى الله تتضمّن أربعة أمور: محبّته، والخضوع له،

والإقبال عليه، والإعراض عمّا سواه.

قال ابن القيم: «فلا يستحقّ اسم المنيب إلاّ من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السّلف لهذه اللّفظة يدور على ذلك»[1].

ـ **الفائدة الثالثة والثّلاثون**: إنَّ أعمال العباد كلَّها مُحصاةٌ عليهم يجدونها حاضرةً يوم القيامة: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ـ **الفائدة الرّابعة والثّلاثون**: أنَّ الشِّرك لا بُرهان عليه ولا حجَّةَ لأهلِه عليه، وهذا مأخوذٌ من قوله: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، وهذا مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فالشِّرك أيًّا كان نوعه وأيًّا كانت صفتُه لا برهان عليه، هذه صفة لازمة للشِّرك في كلِّ

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٣٤).

أحواله وفي جميع صُوَره.

ـ **الفائدة الخامسة والثَّلاثون:** أهميَّة التَّأكيد عند دعوةِ الناس إلى الخير، ونهيهم عن الشّر بالرُّجوع إلى الله ومُجازاته العبادَ على ما قدَّموه في هذه الحياة؛ فينبغي على الدُّعاة مراعاة هذا الأمر في الدَّعوة؛ ولأهمية التأكيد على ذلك تكرر في قصة لقمان في قوله: ﴿**إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ**﴾، وقوله بعده: ﴿**إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ**﴾، فهذا أمر يحتاج النّاس إلى التذكير به مرَّاتٍ وكرَّاتٍ حتَّى يَرسَخَ في أذهانِهم قُدومُهم على الله ومُجازاةُ الله تبارك وتعالى لهم على الأعمال الَّتي قدَّموها في هذه الحياة، ليحسنوا الاستعداد والتهيؤ ليوم المعاد.

الفائدة السَّادسة والثَّلاثون: إحاطةُ علم الله جلَّ وعلا وأنَّه لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، ﴿ **يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ**

ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

ـ **الفائدة السّابعة والثَّلاثون**: أَثَرُ الإيمان بأسماء الله وصفاتِه في صلاح العبد وزكاءِ أعمالِه، وأنّ العبدَ كلما كان بالله أعرف كان منه أخوَف، ولعبادته أطلَب، وعن معصيتِه أبعَد، وقد تكرّر تذكير لقمان بأسماء الله وصفاته.

ـ **الفائدة الثّامنة والثَّلاثون**: أهميَّة تربية الأبناء على مراقبة الله، فإذا قُلتَ لابنِكَ: لا تفعَل كذا، فلا تجعله يراقبُكَ أنتَ، وإنّما وجه مراقبة الله في أعماله، فقل له مثلاً: يا بنيَّ صلِّ، وابتعِد عن الحرام؛ لأنَّ الله يراك ويطَّلع عليك ولا تخفى عليه منك خافيةٌ، وإنَّك لو تَفعل يا بنيَّ خطأً صغيرًا، ولو كان هذا الخطأ في داخل صخرةٍ صمَّاء أو في السَّماء أو في أعماق الأرض سيأتي به الله يوم القيامة فانتبه يا بنيَّ! وراقب الله جلَّ وعلا، وما أعظم نفع هذا في تربية الأبناء.

ـ **الفائدة التّاسعة والثَّلاثون**: إنَّ الوزن يوم القيامة بمثاقيل الذَّرِّ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨]، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾.

ـ **الفائدة الأربعون**: إنَّ المظالم لا تضيع وإنَّ قلَّت، وكلُّ مظلَمَة سيؤتى بها يوم القيامة حتَّى وإن كانت أمرًا قليلًا وشيئاً يسيراً، ولهذا قال بعض المفسِّرين في معنى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾، يعني المظلمة لو كانت صغيرة جدًّا يأتي بها الله جلَّ وعلا.

ـ **الفائدة الحادية والأربعون**: الإيمان باسمَي الله «اللَّطيف» و«الخبير» وهما اسمان تكرَّر ورودهما مجتمعين في عدَّة آيات من القرآن الكريم. واسم «الخبير» يرجع في مدلوله إلى العلم بالأمور الخفيّة التي هي في غاية اللّطف والصغر، وفي غاية الخفاء، ومن

باب أولى وأحرى علمه بالظواهر والجليّات.

وأمّا اسم « اللّطيف» فله معنيان:أحدهما: بمعنى الخبير. والمعنى الثاني: الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها.

ـ الفائدة الثانية والأربعون: مكانة الصَّلاة وأهميَّة إقامتها وتنشئة الصغار على المحافظة عليها.

فالصّلاة من أعظم الواجبات وأجلّ الفرائض التي افترضها الله على عباده، وهي عماد الدين وآكد أركانه بعد الشهادتين، وهي الصّلة بين العبد وربِّه، وهي أوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإذا فسدت فسد سائر عمله، وهي الفارقة بين المسلم والكافر، فإقامتها إيمان وإضاعتها كفر وطغيان، فلا دين لمن لا صلاة له، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، من حافظ عليها كانت له نوراً في قلبه ووجهه وقبره وحشره، وكانت له نجاة يوم القيامة، وحشر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، ومن لم

يحافظ عليها، لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف والعياذ بالله.

ـ **الفائدة الثالثة والأربعون:** تدريبُ الأبناء على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر منذ الصغر، ففي ذلكَ نفعٌ لهم وللآخرين؛ لأنَّ الابن إذا نشأ منَ الصِّغر داعيةً إلى الخير سيستَفيدُ هو ويستفيدُ الآخرون، أمَّا الفائدة الَّتي تحصلُ له أنَّ دعوته للآخرين تكون تحصينًا له من أن يدعُوَه إلى المُنكرات؛ وقد قيل قديمًا: «إذا لم تَدعُ تُدعَى»، فإذا كانَ الابنُ داعيةً إلى الخير فهذه في حدِّ ذاتِها تكون له وقايةً من دُعاة الشَّر؛ لأنَّهم عرفُوه بأنَّه داعية إلى الخير، فيجدون أنَّه لا سبيل لهم إليه، وأمّا نفع الآخرين فربَّما يهتَدي على يديه أناسٌ فتكون هدايتُهم في ميزانِ حسناتِه، قال ﷺ: «**لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم**»[1].

ـ **الفائدة الرّابعة والأربعون:** الوصيَّة بالصَّبر لا سيما الدُّعاة

(١) أخرجه البخاري(٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

إلى الله والآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر، فمقامهم يحتاج إلى صبر عظيم: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾.

ـ **الفائدة الخامسة والأربعون**: إنَّ عزائم الأمور لا ينهضُ لفعلِها إلَّا النُّفوس الكِبار.

ـ **الفائدة السّادسة والأربعون**: التَّحذير من الفخر والخيلاء.

في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال ابن كثير: «أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره»[1].

ـ **الفائدة السّابعة والأربعون**: الدَّعوة إلى التَّوسُّط والاعتدال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

ـ **الفائدة الثامنة والأربعون**: إثبات صفة المحبَّة لله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

ـ **الفائدة التاسعة والأربعون**: دعوة الشَّريعة إلى مكارم الأخلاق وتحذيرها من رديئها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٩).

ـ **الفائدة الخمسون**: أهميَّة ضرب الأمثال في التَّعليم. فقوله: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ مثل بليغ فيه أنّ رفع الصّوت الفاحش المنكر لو كان ذا فائدة لما اختص به هذا الحيوان الذي عُلمت خسّته وبلادته.

فهذه بعض الفوائد المستنبطة من هذا السِّياق المُبار.، وعلى كلٍّ فإنّ «هذه الوصايا، التي وصَّى بها لقمان لابنه، تجمع أمّهات الحِكَم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكلُّ وصيّة يُقرَن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نهياً.

وهذا يدلُّ على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام، وحِكَمِها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجب لتركه، وأمرَه ببر الوالدين وبيَّن له السبب الموجب لبرِّهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محلَّ برِّهما وامتثالَ أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقَّهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشِّرك. وأمره بمراقبة اللهّ، وخوَّفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر

صغيرة ولا كبيرة من الخير والشرّ، إلا أتى بها.

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسّكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللّذين يَسْهُل بهما كلُّ أمر، كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصاً بالحكمة، مشهوراً بها؛ ولهذا من منَّة اللهّ عليه وعلى سائر عباده، أن قصَّ عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة»[1].

وأسأل الله جلَّ وعلا بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى أن ينفعَنا بما علَّمنا، وأن يجعلَ ما نتعلَّمه حجَّةً لنا لا علينا وأن يرزقَنا العلم النَّافع والعمل الصَّالح، وأسأله تبارك وتعالى أن يجزيَ لقمان الحكيم خير الجزاء، وأن يغفر لنا وله وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

---

(١) تفسير ابن سعدي (ص٧٦٢).

والله تعالى أعلم وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين[1].

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة أُلقيت في جامع الملك فهد رحمه الله في مدينة حائل في يوم الأربعاء ٢٨ محرم عام ١٤٢٦هـ، وقد فُرِّغت من الشريط وأَجريْتُ عليها تعديلات يسيرة، وفضّلتُ أن تبقى بأسلوبها الإلقائي كما كانت في المحاضرة. والله وحده الموفّق.